

## تجليات الحسّ التراجيوميدي في ملصقات عز الدين ميهوبي

أ. موسى كراد  
جامعة العربي بن مهدي – أم البواقي

### ABSTRACT

This study deals with the manifestations of common A sense of the tragic and comic in the Poems Azzedine Mihoubi (TRAGIECOMEDY) (Trajekoumidia) where it formed the phenomenon advantage prevailed over most of his poems produced in the poetic "posters" group with a diversity of experience and employment , as was the impetus psychologically a unique marking Algerian poetic production, which was full of experiences gustatory and spiritual Semitism the distinct character of the private Algerian , and has been the historical and political facts significant impact in the formation of this phenomenon .

**مقدمة:** شكّلت مرحلة التسعينات من القرن الماضي نقطة تحول هامة اكتسب فيها حالة من الحزن فرضها رهن ممزق ووضع مأساوي عاشته وعاشته الأمة العربية الإسلامية عامة والجزائرية خاصة، حيث راح الشاعر العربي وهو في أوج موته وانكساره يرقب تارة ويجاري أخرى عالما يخطو بخطى ثابتة نحو التحديث والتجديد و"لما كان الإبداع فعلا مضاد للموت والفناء كانت الكتابة مشروعاً مستقبلياً.. والإضافة والتجديد نوع من تحقيق الذات ... وتعبير عن وجهة نظر"<sup>1</sup>.

هكذا اتجه الشاعر إلى (تفكيك اللغة الشعرية الموروثة وتشبيد لغة جديدة تحمل صفات الوجود المتجدد"<sup>2</sup> إذ "لم يكن من بد من تلغيم النص، وتفجير بنيته المنخرقة لتأسيس بلاغة معاصرة تستجيب لدواعي التغيير في واقع الإنسان"<sup>3</sup> لقد أنشأت مجموعة من الشعراء لنفسها معجماً خاصاً، وشعرية تقدم المشهد الجديد، ممارسة حرياتها التي استنقتها من تجارب الشعر العالمية، والتي أفضت إلى "غموض النص من جهة، وانفتاح البناء النصي على مائة الجيل من جهة أخرى"<sup>4</sup>، ووصف أحمد يوسف في كتابه "يتم النص" "هذا الجيل بجيل اليتيم، الذي يفتقد إلى أب يستند إليه، ويلوذ به، فراح يتبنى فلسفة خاصة ولغة جريئة انفجارية تتوشح هالة من السواد، وتركب غوايات التجريب والتجديد، وترسم واقع الشاعر بريشة الرفض والتجاوز"<sup>5</sup>، و"لقد أدرك الشاعر

المعاصر خطورة الكلمة في نقل التجارب والأحاسيس بعدما دخل دائرة التجريب الشعري لما هو ممكن أو متاح أمامه من أدوات تعبيرية يلتقطها<sup>6</sup>، فراح يلون أشعاره من خلالها بألوان التعبير والصور وينسج بخياله فضاء رحبا من الحرية، حرية شخصية للذات الشاعرة وأخرى للقارئ المتلقي، فهما "يلتقيان في رحلة محتجة نحو حريتهما المشتركة خارج المواعيد الكسولة أو المحتملة"<sup>7</sup>.

والملاحظ لعدة دواوين في هذه المرحلة يرى أن: "أكثر الألفاظ شيوعا هو لفظ الوطن ثم يأتي بعد ذلك لفظ الموت مشكلا معجما وجدانيا مأساويا يبني على ألفاظ كلها توحى بالمأساة، الدم والجراح، الفجيعة الدموع، الهم الأوجاع، الخراب، الدمار، الجنازة، الحزن، الألم"<sup>8</sup>.

هذا الحمل الثقيل لم يضمه قصائدهم فحسب، فأحمد شنة مثلا في ديوانه "من القصيدة إلى المسدس" يبرز لنا حجم المعاناة من خلال الإهداء حيث قال: (إلى الذين رفضوا أن يغادروا الجزائر في عز المحنة وفضلوا أن يموتوا برصاصة غادرة في وطنهم... إلى المواطنين الصابرين تحت سنابك الفتنة ورهج الدمار وجبروت الإرهاب والقرصنة)<sup>9</sup>.

ومما لوحظ في أثناء قراءة بعض دواوين الشعراء أن التعبير الدرامي المأساوي ينعكس كثيرا في صورهم الفنية، وهذا يدل على مدى رؤية الشاعر الجزائري المعاصر للواقع ومدى تمرده عليه. من ذلك قول الأزهر عطية:

كَيْفَ أَشْدُو أَوْ أَغْنِي

وَأَنَا أَحْيَا غَرِيبًا

فِي مَتَاهَاتِ الزَّمَنِ

كَيْفَ أَشْدُوا أَوْ أَغْنِي

وَأَنَا أَحْيَا غَرِيبًا

أَحْمَلُ الِهْمَ الَّذِي لَا يُحْتَمَلُ<sup>10</sup>

فالشاعر من خلال هذه القصيدة يبدو كسير النفس تخور قواه وتموت عزائمه، لأنه يعاني مرارة الغربة والتشرد والضياع في متاهات هذا الزمن، فهو يكابد مشقة حتى في إخراج الكلمات، فلشدة إحباطه لم يجد عبارات تشفي غليله. ليس هذا فحسب بل صاحب تلك الرؤية التراجيدية مسحة كوميدية هزلية عبرت عن واقع مرير قوبل السخرية والضحك، من باب "شر البلية ما يضحك".

**قصيدة الومضة وملصقات عز الدين ميهوبي:** تعد قصيدة الومضة أو القصيدة الومضة شكلاً شعرياً أو أسلوباً بنائياً أخذ حيزاً كبيراً من الاهتمام من لدن النقاد والباحثين العرب في عصرنا الحديث، ولا سيما بعد لجوء الشعراء إلى النظم في هذا النمط الشعري الجديد، الذي له من الخصائص والتقانات الأسلوبية كالإدهاش والتكثيف والإيجاز، وقوة الإيحاء والنزوع نحو الختام السريع والمفاجئ وغيره ما يميزه عن القصيدة الطويلة.

يُطلق مصطلح "الومضة" بدايةً على هذا اللون من القصيدة الجديدة كل الجدة، ونعني بها صور الوميض، وصور البرق الخاطف، ونعني بها أيضاً تلك الصور الشعرية، ذات الإشعاع القوي النافذ، والتي تتولد عنها إنارة مفاجئة في منطقة اللاشعور، فتترك بعد ذلك، انطباعاتاً في الشعور لا يمحي. ومن ثم، فهي تشبه إلى حد بعيد وميض البرق، تلتقط في لحظة انبهار ضوئي، يكاد يغشى الأبصار، ولكنه ضوء يكشف عن جزيئات وحساسيات ذهنية في غاية الحدة؛ ناقدة ساخرة تهكمية.

وهذه الصور التي تعتمد الوميض أو البرق السريع، صور في منتهى الغرابة من حيث البناء الفني، إنها لقطات سريعة مفاجئة، يلتقطها الخيال ببراعة فائقة من مشاهدات الواقع، ويعقد بينها أوامر وثيقة ومنطقية، تهز الخيال بغرابتها، وما فيها من عنصر مفاجئة وإمتاع وطرافة ومفارقة وحسن التناول وجمالية التلقي والألفة.

ولعل أول خطوة في رسم مثل هذه الصور، هي أن يجمع الشاعر بين المعنى الحسي، والمعنى الذهني في لمحة واحدة، فتشتمل الصور حينئذ على العمق والسطح معاً. المفهوم والإدراك الحسي للمفهوم، على التجربة وخلاصة التجربة.<sup>11</sup>

وقد تأثر شعراء القصيدة الحرّة، وقصيدة النثر، الرواد بمؤثرات أجنبية عديدة، منها التأثير باستخدامات إليوت الشعرية. فظهرت أساليب جديدة في شعرهم؛ كاستخدام الصور الشعرية، دون أسلوب التقرير النثري، وتقنيات فنية جديدة، تعتمد "الومضات الشعرية" والتكرار، تهدف إلى إثارة التداعي الشعري، واستخدام الأسلوب القصصي الدرامي، والحوار والمونولوج. فاستخدم نمط التكرار وشعرية الومضة: السياب، وجبرا، حيث منح هذا المنهج قصائدهم، قدراً من الوحدة وانسجام النغم، "لأن قصيدة الشعر الحر النموذجية في الشعر الغربي، لا تتمثل في وسائل عروضية شكلية"<sup>12</sup>.

وهكذا مارس أغلب شعراء الرواد في العالم العربي تقنياً، تقنيات وتجارب "الشعر الحر"، وأرهصوا بقصيدة "الومضات"، استخدموا إيقاع الأفكار، بدلاً من إيقاع القافية. وحاولت جماعة شعر، أن تتبنى بعض مظاهر الحداثة الغربية. كما تبنت "قصيدة النثر"، بومضاتها الإيقاعية والإماعية الفكرة، وظل لهم تأثير قوي في الجيل الجديد. أظهر في السبعينات، فريق منهم ميلاً وتأثراً بومضات أدونيس الصوفية، عندما شعروا بالعزلة وبالأيأس من نهضة الأمة وانكسارها، فبرز في شعرهم القلق الوجودي، الذي مثل التجربة المشتركة بينهم جميعاً، وشرعوا يغوصون إلى أعماق اللاعقلانية والمغامرة في الشكل.<sup>13</sup>

ويمكن أن نعد الجزائري الشاعر عبد الله حمادي، أول من أدخلها إلى حداثة الشعر الجزائري، متأثراً بالمنصرة، ثم أردفه: عز الدين ميهوبي بملصقاته، ثم جاءت قافلة واحدة من الشعراء الشباب، أفراس حمر وخضر، برزوا إلى الساحة في التسعينات بشكل لافت للنظر، من أمثال: نذير الطيار، في مطريات جزائرية، وأحمد عاشوري، القادم مع نهر السيبوس، والمسكون بشعرية الهايكو وأوراق البرواق، وبحب الرمان ومروج السوسن، ومصطفى قاسمي، القادم من أعالي الجبال، بتوقيعات أوراسية، وحببية محمدي، الضائعة بين المملكة والمنفى بشروخ الوجه، والفيروزي الزيباني، في توشيمات على أنهر أسبوعية الأطلس.

فقصيدة الومضة - بخصائصها المعروفة - باتت أسلوباً شعرياً جديداً يحمل مزايا عصره، وتقاناته التي تقربه من التجربة الذاتية للشاعر وتصره معها في بوتقة واحدة لتستنفر معها بواطن التجربة الخاصة.

**التراجيوميديا أو الكوميديا السوداء:** وتسمى أيضاً في اللغة العربية الملهة المفجعة أو الملهة المأساوية. وأطلقت تسمية تراجيوميديا على نوع مسرحي يجمع بين التراجيديا والكوميديا وله طابع جمالي يختلط فيه المأساوي بالمضحك.

أهم النظريات المسرحية التي عرفها القرن العشرون الميلادي، والتي كانت بحق أداة لتأسيس الخطاب المسرحي، ووسيلة ناجعة لتفعيله حركياً، وآلية فنية وجمالية قادرة على تأصيله ذهنياً وعملياً وتقنياً، ما يسمى التراجيوميديا أو بالكوميك الصادم، والكوميديا السوداء<sup>14</sup> ويمكن اعتبار هذه النظرية الدرامية في الوقت نفسه نظرية مسرحية، وأداة درامية في الكتابة والإخراج. ويجمع هذا النوع من المسرح بين الطابعين: التراجيدي والكوميدي، ويهدف إلى تعرية

المجتمع القائم، ورصد نمط الوعي لدى الجمهور الحاضر، إن كان وعيا كائنا، أو وعيا مغلوطا زائفا، أو وعيا ممكنا يستشرف المستقبل. ويسعى هذا المسرح جادا، وذلك عبر آلياته الفنية والجمالية، إلى نقد الواقع المرصود والمشخص والمعروض، عن طريق السخرية، والهزل، والهجاء، والمفارقة، والضحك، والبكاء...

**نعني بالتراجيوميدي:** تلك الكوميديا الساخرة التي تصور المفارقة الصارخة بين السلوك والقيم، وتتسلح بالضحك، والجنون، والهذيان، والباروديا، والمحاكاة الساخرة، لتدمير كل الثوابت التي تستند إليها الأنظمة السياسية المعاصرة على جميع الأصعدة والمستويات<sup>15</sup>. بمعنى أن الكوميديا السوداء فلسفة تأملية مأساوية، تندد بعبثية الواقع وعدمية المجتمع، وتشدد على انحطاط القيم الإنسانية الأصيلة، وتحقل بحياة العبث، والإخفاق، والفشل، والسقوط التراجيدي. إنها فلسفة الضحك الممزوج بالبكاء الهستيري. وتستند هذه الكوميديا إلى السخرية اللاذعة، والمبالغة في الكروتيسك، والميل إلى التعبير الكاريكاتوري، وانتقاء الهابط والسوقي والفج من الألفاظ والتعابير والصيغ التداولية<sup>16</sup>.

**أما مقوماتها وركائزها:** فهي تعتمد على ما يسمى بالكوميك الصادم على انتقاد الواقع بكل مستوياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتعريته فكاهايا وكاريكاتوريا، ومسخه كروتيسكيا، وتشويهه فنيا وجماليا، وكشف نواقصه الظاهرة، وتشخيص عيوبه المضمرة، باستعمال السخرية والهزل والباروديا لرصد الواقع القائم، واستشرف لحظات المستقبل الممكنة. كما تتوسل الكوميديا السوداء بالملحمية البريختية، واستخدام المسرح التسجيلي والتوثيقي والسياسي، وتوظيف النقد الجدلي، والتسلح بالأسلوب الساخر المفارق، والارتباط بالواقع فهما وتفسيرا، وذلك باعتبارها علامات سيميائية وأيقونية. ومن هنا، فالكوميديا السوداء هي دراما واقعية جدلية نقدية، تجمع بين الجد والهزل من أجل تغيير الواقع، وتحرير الإنسان على مستوى الوعي والذهن والشعور.

وعليه، فالتراجيوميدي قائمة على كوميديا الحوار، وكوميديا الشخصية، وكوميديا الموقف، وكوميديا الرؤيا<sup>17</sup>. وغالبا، ما تنطلق هذه الكوميديا الصادمة من الأمثال الشعبية التالية: "كثرة الهم تضحك"، و"إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده"، و"شر البلية ما يضحك"... هذا، وترتكز هذه الكوميديا السوداء على الواقعية الانتقادية، الباختينية، والتهجين اللغوي والتعبيري

والخطابي والأجناسي، واستعمال التعريض، والكنائية، والتلويح، والأسلبة، واللجوء إلى الفكاهة الكاريكاتورية، والاستعانة بفن الهجاء ولغة الدم والقبح والتنقيح والتعبير، والاعتماد على المفارقات والمتناقضات، والتأرجح بين المختلف والمتشابه، والمزاوجة بين المتعة والفائدة، والجمع بين الجد والهزل، وتأسيسا على ماسبق، توجد التراجيوميديا في جميع الأجناس الأدبية، من مسرح، وسينما، وقصة، ورواية، وشعر، وقصة قصيرة جدا، وتحمل في طياتها رؤية إبداعية عبثية متشائمة، قوامها الضحك الجنوني، والهستيريا اللاواعية، والنقمة العارمة على معايير السلطة والمجتمع والقيم وطبوهات المجتمع.

يعد الشاعر العراقي أحمد مطر بلافتاته الشهيرة ريادة كمية وكيفية لفن القصيدة الومضة "أما المحاولة الظاهرة التي كانت على شيء كبير من الاستقلالية والأصالة الشعريتين فهي محاولة عز الدين ميهوبي مع كل ما ميز تجربته الشعرية في تفصلها المرحلي من تباين في القوالب والأشكال، فإنها ظلت تتقاطع دلاليا في الهم السياسي الذي ما انفك عالقا بها، لا لشيء إلا لأن واقعنا يغري بالكتابة في هذا المجال على حد تصريحه ذات يوم"<sup>18</sup> الملاحظة في هذه المجموعة الشعرية (الملصقات) أن أكثر الألفاظ شيوعا كلمة (الحزب) حيث تواترت أكثر من ثلاثين مرة تليها عبارة (في بلادي) حيث كاد الشاعر أن يجعلها بادئه وفتاحة لكل ملصقة إضافة إلى بعض المفردات ك: السياسي، الكرسي، السلطان، الشعب... وهي تدل على المحور الثلاثي العام، النظام، الأحزاب والواقع الشعبي، حيث جاءت هذه الملصقات لتعريف الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي في أشكال تكاد تكون في بعض الأحيان "دراما هزلية إضافة إلى ما تضمنته بعض الملصقات من نص حوارى وهذا ما جعل بناء الومضة الشعرية يقترب بشكل عام من البناء السردى للقصة القصيرة مع مراعاة الاقتصاد اللغوي والتكثيف الدلالي.

ومما سبق ستكون تجليات هذا الحس التراجيوميدي مجسدة من خلال الواقع السياسي والاجتماعي، والواقع الثقافي:

**في الواقع السياسي:** كان الواقع السياسي للجزائر في التسعينات يميزه اللامن والاستلاب والاغتراب جراء الظروف المحيطة والتي خلقت وولدت هذا الواقع المرير، الذي جعل البعض يستنفر خططه الشيطانية للنيل من هذا الوطن.. فسرقوا ونهبوا وهربوا وقتلوا بلا حسيب ولا رقيب.. في ظروف مأساوية قاسية وقاهرة.

لكن هذه المأساوية تم عرضها في ملصقات عز الدين ميهوبي بروح هزلية كوميدية في قصائد قصيرة عبرت عن واقع معيش بألفاظه ومعانيه، من ذلك ما نجد في ملصقة " تهريب " إذ يقول فيها:

على شرفة مائلة

قال لي: هل تصدق أمر الرشاوي

التي هربت في الجيوب...

وأمر ملاييرنا الهائلة؟

هل تصدق ما كتبه الصحافة؟

قلت: لماذا التعجب يا صاحبي..

كيف لا يقدرّون .....

وقد هربوا أمة كاملة ؟ ! 19

فالشاعر لجأ إلى أسلوب الحوار بدلاً من الأسلوب التقريري ليعبر لنا عن عدم تعجبه من قصة الملايير (حتى أنه في الهامش كتب 26 مليار دولار فقط)، فالذي غيب وهرب أمة بأكملها لن يتوانى في فعل ما دون ذلك.

أما لذي يمنعي لو أنني شكلت حزباً

مثل كل الناس

موفور العدد.

ربما أصبحت في يوم زعيماً للبلد!

لقد بلغت درجة الانحطاط بكل متسفل أن يُمني نفسه بتأسيس حزب، عله يصبح يوماً زعيماً ورئيساً لهذا البلد، لأن المعايير انقلبت والمبادئ ديست ولم يعد هناك مانع من تطاول الرعا ع وارتقائهم في سلم المجد والسياسة. ويبلغ الشاعر بتكثيفه الدلالي واقتصاده اللغوي الحد الأدنى كما في ملصقة "عزاء" حيث يقول:

غاضبا كنت .....

لأنني كنت من غير حذاء ....

مر قربي فاقد الساقين

فاخترت العزاء

هذه الملصقة التي بلغت أربع جمل شعرية حيث بدأها وأنهاها بوصف حالتين مختلفتين هما على التوالي: الغضب ثم العزاء وجعل في الجملتين الوسطيتين أسباب التحول من الغضب إلى العزاء لمجرد مرور فاقد الساقين هانت مصيبة الشاعر الذي ظن أن مصيبته كبيرة لأنه بلا حذاء.

ويقول الشاعر في ملصقة "واقعية" وهي طويلة مقارنة مع باقي الملصقات وتمثل صورة كلية لما آل إليه وضع الفساد في بلادنا، وهي الأخرى مكونة من صور جزئية تتأزر في بينها لتشكل المشهد الكامل الذي يريد الشاعر أن يصوره حيث يقول :

**لأن الغطاء انكشف**

**ووضع البلاد اختلف**

**فإن الخيانة أضحت ككل الوثائق تطلب**

**من أجل تشكيل أي ملف**

فالقارئ لا يجد مشقة في فهم عناصر هذه الصورة التي تنبئ عن انقلاب في الموازين، فهذه الخيانة التي أصبحت هوية تطلب هي أكبر دليل على أن الأمة قد فقدت الأمناء ولم يعد يرتع في رحابها إلا الذين حازوا هذه الشهادة، وتتواصل بنا المشاهد إلى صورة أخرى، ثم يواصل بنا الشاعر في رسم المشاهد المأساوية الهزلية الجزئية المشكلة للصورة الكلية حيث يقول:

**تدرج من سائق للوزير**

**إلى أن تحول في الحزب**

**شيئا ثقيلًا تغطيه كل الصحف**

**وكان يؤدي صلاة الموسم في وقتها..**

**إذا ما خلا لحظة للشياطين..**

**قام وارشف**

**وماذا تريدون من ناهب محترف؟**

**و يقول أيضا:**

**يقولون-والله أعلم-**

**كانت له حظوة عند فافا**

**ويقطع بالناس حبل حقيقة ماضيه**

**في المنتصف**

فالملاحظ أن الشاعر في المشهدين الأخيرين قام بتعرية هذا "العزیز" ففعله كانت له حظوة عند "فافا" كناية عن العمالة والخيانة وهي قمة المأساة التي جعلها الشاعر مدار هذه الملصقة الطويلة، لأن حياته محل شبه كثيرة فهو لا يريد أن يكشفها للناس لأنه يريد أن يبدو أمام الرعية بأنه صاحب الأمجاد، وأنه رافع لواء الجهاد، ولم تتوقف به المطامع عند هذا الحد بل:

**يقولون أسس حزبا بلا قاعده**

**يقولون في فمه جملة واحده**

**إذا انتخبوني...**

**سأجعل أيامهم جنة خالده !**

ولأن الغطاء انكشف ووضع البلاد تغير فقد بلغ الأمر بهذا "العزیز" أن يؤسس حزبا بلا قاعدة وأحسب أن الأمر تغير عما كان عليه في مشهد سابق، إذ كان الحزب رمزا للأحادية "حزب جبهة التحرير الوطني" أما في هذه الصورة، فجاء الحزب نكرة أي أنه يحمل دلالات عدة، فقد يكون الحزب ديمقراطيا وقد يكون الحزب علمانيا، وقد يكون إسلاميا، أو هو بالأحرى حزب وكفى، ثم هو حزب بلا قاعدة وهذه مفارقة أخرى لأنه في عرف السياسة الحزب تحركه القاعدة الشعبية وتغذيه بنضالها وأصواتها ليصل إلى سدة الحكم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، صارت التعددية الحزبية مرتعا لكل غاد ورائح ليؤسس حزبا، لا يهم توجهه ولا تهم مبادئه، المهم أنه يسمى الحزب وهو زعيم له، لأنه يبحث عن الحياة الخالدة التي وعد بها من سينتخبه، وهذه صورة هزلية جاءت في قالب تراجيدي مؤسف.

**في الواقع الاجتماعي:** قلنا أن ملصقات عز الدين جاءت لتعري وتفضح الواقع الاجتماعي الذي ساد في الجزائر أيام التسعينات، ففي ملصقة "أمنية" التي تنبئ عما وصل إليه الترددي الاجتماعي في الوطن الذي يعيشه المواطن الجزائري من بطالة وفقر وجوع وعطش حيث يقول:

**قال لي: مادمت بطالاً**

**ولا أملك في الدنيا رغيـف**

**مسكني اليومي... أرجاء الرصيف**

ونجد تعرية هذا الواقع في ملصقة (ترابانـدو) التي تعد من أطول الملصقات جاءت في شكل مشاهد قصصية تصور الانتقال الاجتماعي من حالة إلى أخرى انتقال من طبقة إلى أخرى من وضع إلى آخر، من فقر إلى غنى ... كيف هذا ما سيخبرنا به الشاعر في قالب هزلي ومأساوي حيث يستهلها قائلا:

**صديقي الذي كنت أعرفه مند عام...**

**يعشش في جيبه العنكبوت**

**إذا ما استمر على وضعه سيموت**

**لأنه لا يملك المعرفة...**

**وهذي البطالة في حقه مجحفة**

**وكل الذي كان يعرفه جدران الأزقة والأرصفة**

فصديق الشاعر هو كل مواطن احتضنته البطالة، فجيوبه التي طالما ظلت فارغة قد عشش العنكبوت فيها، فهو لا يعرف أحداً ذا جاه، جل معارفه جدران الأرصفة والأزقة ولئن استمر به الوضع هكذا سيموت، وإلى هنا ينتهي بنا الشاعر من المشهد الأول في ملصقته هذه، ثم يأتي البيان من هذا الصديق:

كنت قابلته قال لي:

إن بقيت على حالتي هكذا .....

سوف أضطر يوماً لنهب البوتي

هكذا... مثلما الحوت يأكل حوت

منذ عامين أسأل عن خبزة وكساء

وتأمين قوت

فوضعي ومهما أعطيه

ليست تغطية أوراق توت.

هذا الذي ضاقت عليه سبل الحياة، لو استمرت به الحال هكذا سيحترف النهب تماماً كما يأكل الحوت الحوت. فالرجل لا يطمع في شيء سوى في هذه الثلاثية: خبز، كساء، تأمين قوت. ليصل بنا الشاعر إلى مشهد يختلف تماماً عن المشهدين الأولين حيث يقول:

ذات مساء رأيت صديقي

بفارحة يعبر "الأوطوروت"

رأني...توقف طبعاً

فتحت فمي لم أصدق...

وحدثته في خفوت

أأنت الذي كنت أعرفه منذ عام

وكنت أخاف عليه الموت؟

لم تعد مثلما كنت يا صاحبي منذ عام ....

فقال بخبث رجاء سكوت !

انقلب الوضع وإذا بالفقير المحتاج يمتطي سيارة فخمة يعبر بها الطريق السريع ويجده الشاعر غير ذلك الذي كان يعرفه ولم يترك الشاعر يتخبط في دهشته إنما أجابه قائلاً في مشهد آخر من مشاهد الملصقة:

أنا لم أفكر بشي يضر البلاد

سوى أن أؤمن قدرأ من القنעות!

فتاجرت في كل شيء

من الجبن والملح والموز واللوز والجوز  
 حتى مواد البناء  
 وأقمشة بجميع النعوت  
 ولم أقترف أي إثم ولكني كنت هربت كل الزيوت  
 أنا لم أسء لبلادي  
 ولكنني كنت أعلم أنني إذا ما بقيت على حالتي هكذا دون تأمين قوت  
 فعمرى يفوت  
 ثم إنني رأيت بعيني هنا  
 الحوت يأكل حوت.

فالرجل سبق إلى إجابة الشاعر حتى لا تأخذ به الظنون مأخذاً، فهو في ظنه لم يسيئ لا إلى البلاد ولا إلى العباد، إنما كل الذي فعله أنه مارس التجارة، تجارة في كل شيء من ملح، إلى جبن، إلى جوز وموز، فمواد البناء فأقمشة من كل الأصناف، وتنتهي به تجارته إلى تهريب الزيوت، ثم المتاجرة في العملة الصعبة"، ثم ما الذي دفع به إلى كل هذه الممارسات؟! يبرر لنا الشاعر على لسانه قائلاً:

إنني رأيت بعيني  
 هنا الحوت يأكل حوت.  
 بعد هذه المشاهد المختلفة يختم الشاعر ملصقته بقوله:  
 ضحكت وقلت: صدقت...  
 أحتاج واقعنا يا - صديقي-  
 لتأكيد هذا الثبوت  
 فودعني...  
 ثم أردف مستهزئاً بيديه:  
 Atoute أ.

إنه مشهد ينبئ عن التحول، فهذا الذي كان قبل عام يبحث عن "خبز وكساء وتأمين قوت" أصبح يرفل في النعمة، فبعدما كان لا يعرف إلا جدران الأزقة والأرصفة... أصبح يمتطي الفارقات ويلعب بالمليارات ويتقن جزءاً من لغات...

إنه الغياب التام للقيم وانقلاب موازين الحياة فالوطن كان يحتضر... والأشقياء من أصحاب النفوس الدنيئة جعلوها فرصة ليرتعدوا في خيراته من الحلال والحرام، لا يهم كيف ولكن الذي يهم كما قال الشاعر على لسان الرجل

أن يتحول رغم المصاعب شيئاً ثقيلاً تنوء به لفظة الجبروت.  
فاحتضار الوطن يصوره الشاعر في ملصقة سماها "آخر الملصقات"

لأنني رأيت البلاد بأوجاعها مرهقه  
ورأيت الحقيقة رغم مرارتها مطلقه  
ورأيت الشعارات في وطني زندقه  
ورأيت ثلاثين ح...زبا  
وأخرى ستطلع من شرنقه  
ورأيت نضال الموائد والفندقه  
ورأيت القبور تداس وأعيننا مطبقه  
ورأيت المواطن في زحمة الخوف  
يبحث عن ملعقه  
ورأيت الجزائر ما بين مئذنة ويد  
تحمل المطرقه

فكل سطر من هذه الملصقة يعبر عن حقيقة مرة عاشها هذا الوطن وأهله، حيث سادت الشعارات المزيفة وكثرت الأحزاب السياسية التي لم تحقق شيئاً للمواطن، إنما نضالها من أجل الموائد، من أجل المؤتمرات الاحتفالية حيث يضيع المال بسخاء، وضاع في هذا الخضم المواطن البسيط ودولة الجزائر... هذه الجزائر التي ظلت الحلم المنشود للشاعر.

ربما تنجب بعد اليأس عاقر  
ربما يحكمنا في دولة القاتون بالكعبين ماجر  
ربما يمتلك الذرة شعب جائع من دون حاضر  
ربما يحكم عرش الصين قاصر  
ربما يحترف التأليف تاجر  
ربما أسست المرأة حزبا لانكيا باسم آلاف الحرائر  
ربما يحفظ ماء الوجه للدينار مهاجر  
ربما..  
ربما

أحلم يوما في بلادي...بالجزائر.

هذه الملصقة جاءت في صياغة لغوية خاصة ساد فيها عنصر الاحتمال حيث جعل الشاعر مطلع كل جملة شعرية "ربما متبوعة بالفعل المضارع" ربما تنجب، ربما يحكمنا، ربما يمتلك، ربما يحترف..في هذا دلالة على

ضعف احتمال حدوث الأمر ليختم الشاعر ملصقته بالأمر الذي يترجى حدوثه بإلحاح "ربما أحلم يوماً" في بلادي بالجزائر فالملصقات في عمومها أشبه ما تكون بأدب السخرية الشعرية حيث تنتهج أسلوب السرد القائم على الاستهزاء الساخر والتهكم اللاذع، فهي أقرب إلى لغة الأقصوصة التي تقتصد في عملية البناء الفني العام وحتى في الدلالة السيميائية لعناوينها المقتضبة.

**الواقع الثقافي:** في جزائر التسعينات الواقع السياسي المحمل بالموت والغربة والاعتراب والاضطراب والقلق.. ارتبط بالواقع الاجتماعي وانعكس سلباً على الحياة الاجتماعية للشعب والنخبة فيه.. وانعكس هذا الواقع السياسي والاجتماعي على الوضع الثقافي والفكري؛ والذي أصبح منتناً ومقرفاً، فقد صارت السلطة تصدر أصوات المثقفين والعلماء، وتُسكّت عقولهم وأفكارهم..

في جزائر التسعينات لم يعد للعلم والتعلم قيمة يقول عز الدين ميهوبي:  
في بلادي..

لا تقل عندي شهادة

أو أنا خريج "سربون" و"أزهر"

إن للإنسان مليون ولادة

و هو بطل ومشبوه بمحضر

إنه وضع مزري ومفجع حيث لم تعد السلطة تهتم بالعلم والمتعلمين، في أمر مثير للسخرية والضحك، لأنك سوف تقيد وتقاد إلى المستشفى لأنك في نظرهم مريض يقول:

في بلادي.. لعنة العلم تعكر

أنت إن قلت لهم عندي شهادة

أو إذا قلت لهم عندي إرادة

قيدوا اسمك في قائمة المرضى

وقادوك إلى أي عيادة

هكذا الوضع يفكر

وفي قصيدة "تجارة" يوضح الشاعر الوضع الثقافي المتدهور، حيث أصيد البلاد والعباد لا تهتم بالقضايا الثقافية والفكرية السائدة والراهنة، فلا اهتمام بالشعر ولا الرواية ولا النقد والفكر المعاصر يقول:  
في بلادي..

لا تقل إني شاعر

أو روائي مغامر

لا تقل أكتب للشعب..

فإن الشعب لا يعرف شيئاً

عن قضايا النقد والفكر المعاصر

إن ما يبدعه الخلق جميعاً..

لا يساوي كعب "ماجرج"

ويبين عز الدين ميهوبي السبب في عدم اهتمام الشعب المخدر من السلطة بالقضايا المعاصرة في غياب العقل.. غياب التفكير الايجابي الذي تغيب وغُيب قسراً وعمداً.. يقول في قصيدة غيبوبة:

إنما الدنيا عجائب

هكذا تلهو بنا الأيام..

ما بين كرات وشباك وملاعب..

فلماذا نكتب الشعر وهذا العقل

غائب؟

وتظهر اللغة التراجيدية الهزلية في سرقة السلطة لعيون ولسان الشاعر والمتقف الذي يأبى إلا أن يرفض ويصدق بالحق مهما كلفه الأمر.. يقول:

سرقوا مني عيوني

ولساني وجنوني

وأقاموا حاجزاً للموت دوني

فنشوا صدري..

وفي ملصقة "لائكية" يصور الشاعر بأسلوب حوارى موقف السلطة من الثقافة والدين، حيث يقول:

صاحبى مستحزب حتى النخاع

سألوا الحزبى.. ما موقفكم من امر تجديد

الخلافة؟

قال فى خبث: خرافه

حزبنا يسعى لتسييس الثقافه

وهو لا يخلط بين الدال والسين

فبين الدال والسين إذا قسنا – مسافه

ترفضون الدين.. قالوا ؟

**قال لا نرفضه.. لكنه في رأينا الحزبي آفه  
قلت في نفسي.. ولكن..  
آفة الآفات تسييس الثقافة**

ملصقة تتجلى مأساويتها في رفض كل جديد وبديع، رفض تجديد وتغيير الخلافة والسلطة، بل نفس الوجوه لكرسي واحد.. والأدهى والأمر هو تسييس الثقافة. لماذا لا تثبت صحة الخلافة وخدمة السلطة ورفض الخرافة.. والمضحك والهزلي: هو أن السلطة لا تفرق بين الدال والسين.. ويقول أيضا:

**كل من يعرفني. يعلم أنني عاقل  
لكن في الحق أجرح  
فإذا أبصرت شيئا أعرج القامة.. أفصح  
وليقولوا ما أرادوا..  
طالما أنني لهذا الشعب أجنح  
ولسان الشعب - حين الحق - أفصح**

إنه تحدي ومقاومة وتصدي من طرف الشاعر ميهوبي لكل من يهين ويمسخ ثقافة ودين هذا الشعب الذي ينجح له الشاعر.. ولهذا السلطة دائمة الخوف من المثقف والشاعر، الذي سيجرح ويوقع ويفضح إذا رأى إعوجاجا.. ويكمل فيقول:

**فلقد أبصرت أحزابا..  
تظن الوطن المتعب.. مسرح  
تتباهى بشعارات ولكن..  
كل حزب قام في الزفة يشطح  
هكذا كل إناء بالذي يحويه ينضح**

إنها قمة السخرية والمفارقة أن الحياة السياسية أصبحت شعارات ترفع وتغنى دون أي إنتاج وخدمة ذلك الشعب المقهور.. والمضحك أن هذه الأحزاب تفرح بما لديها من شعارات وكأنها ترقص (تشطح) فرحا بها ولكنها في الواقع من المبكيات والكوميديا الصادمة التي أصيب بها الشعب ولو بعد حين.

**الخاتمة:** تناولت هذه الدراسة تجليات الاتراجيوميدي في شعر عز الدين ميهوبي، حيث شكلت هذه الظاهرة ميزة غلبت على معظم قصائده المنتجة في المجموعة الشعرية "ملصقات" مع تنوع في التجربة والتوظيف، كما كانت دافعا نفسيا فريدا وسم الإنتاج الشعري الجزائري الذي كان زاخرا بالتجارب

الذوقية والروحانية السامية ومتميزا بالطابع الجزائري الخاص، وقد كان للوقائع التاريخية والسياسية أثر بارز في تشكيل هذه الظاهرة.

ومن خلال الدراسة تبين أنّ ملصقات عز الدين ميهوبي ذات طبيعة مليو درامية من حيث أنها تهجن ما هو مأساوي تراجيدي بما هو كوميدي ضمن بوتقة اللغة الدرامية التي تتماهى الكرنفالية التي تحدث عنها ميخائيل باختين-حيث أنها تمزج بين ما هو مأساوي الذي يتمثل في الإحساس، بتريدي الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي وانحطاطه: تظلم، خصام، موبوء، القصيدة السوداء، انكسار، هموم، موت/ مصادرة، سقوط، سؤال، خيانة، تلاشي، عدالة، مذنب، تيه، وساطة، خمسة، كرسي، حيطيست، ريب، دوفيز، رجعي، تراباندو، هذا التهجين بين المأساوي والكوميدي تم ضمن كثافة لغوية تقوم على أسلوب البرقية أو التوقعية، مع إشباع هذه اللغة الشعرية بالدلالة الإيحائية التي تحتوي نقدا اجتماعيا حادا ونقدا سياسيا لاذعا وسلوكا اجتماعيا منحرفا .

### الهوامش:

- 1 - محمد نجيب التلاوي: القصيدة التشكيلية في الشعر العربي، الهيئة المصرية للكتاب، 2006، ص 2.
- 2 - أحمد يوسف: يتم النص والجنولوجيا الضائعة، منشورات الاختلاف، المغرب، ط1، 2002، ص 26.
- 3 - محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، دار تو بقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2001، ص 127.
- 4 - محمد بنيس: كتابة المحو، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص 53.
- 5 - حمد يوسف: يتم النص والجنولوجيا الضائعة، ص 363.
- 6 - بد القادر عبو: فلسفة الجمال في فضاء الشعرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007، ص 127.
- 7 - محمد بنيس: كتابة المحو، ص 161.
- 8 كمال فنيش: البناء الفني في الشعر الجزائري المعاصر، مخطوط، جامعة قسنطينة، 2000، ص 76.
- 9 - أحمد شنة: ديوان: من القصيدة إلى المسدس، مؤسسة هنديل، الجزائر، ط1، 2000، ص 07.
- 10 - الأزهر عطية: ديوان: السفر إلى القلب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 35.
- 11 - عثمان حشلاف: التراث والتجديد في شعر السياب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر - 1986، ص: 127، 129.

- 12 - س. موريه: الشعر العربي الحديث، تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي، ترجمة سعد مصلوح، دار الفكر القاهرة، ط 1، 1986، ص: 304، 307.
- 13 - حسام الخطيب: الأدب المقارن، الجزء الثاني، مطبعة الإنشاء دمشق، ط1، 1982، ص: 32.
- 14 - مقال بعنوان: نظرية الكوميديا السوداء في المسرح المغربي، ل جميل حمداوي من موقع: <http://www.doroob.com/?p=16721>
- 15 - المرجع نفسه.
- 16 - المرجع نفسه.
- 17 - المرجع نفسه.
- 18 - يوسف وغليسي: مقدمة ديوان ملصقات لعزالدين ميهوبي، منشورات أصالة، سطيف، الجزائر، ط1، 1997، ص 12.
- 19 - عز الدين ميهوبي: ملصقات، ص 92.